

دلائل الإعجاز

(طَارُفٌ عَجُوزٍ فِيهِ ثِنْدَتَا حَنْطَلٍ ...) .

شاذاً . هذا ولا يمتنعُ أن تجعلَ المحذوفَ من الآية في موضعِ التمييزِ دونَ موضعِ الموصوفِ فتجعلَ التقديرَ : " ولا تقولوا ثلاثة آلهة " ثم يكونَ الحكمُ في الخبرِ على ما مضى ويكونَ المعنى - وإِني أعلمُ - " ولا تقولوا لنا أو في الوجود ثلاثة آلهة " .
فإِن قلتَ : فلمَ صارَ لا يلزمُ على هذا التقديرِ ما لَزِمَ على قولِ من قدَّـرَ : " ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة " فذاك لأزسَّ إذا جعلنا التقديرَ : ولا تقولوا لنا أو في الوجود آلهةُ ثلاثة أو ثلاثة آلهة كذاً قد نفينا الوجودَ عن الآلهة كما نفيناه في (لا إلهَ إلاَّ) و (وما مِنُ إلهٍ إلاَّ إِني) . وإِذا زعموا أنَّ التقديرَ " ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة " كانوا قد زعموا أنَّ تكونَ عدَّةُ الآلهةِ ثلاثةً ولم ينفوا وجودَ الآلهة . فإنَّ قيلَ : فإنَّ يَلْزَمُ على تقديرِكَ الفسادُ من وجهٍ آخَرَ وذاك أنَّـه يجوزُ إذا قلتَ : " ليس لنا أمراء ثلاثة " أنَّ يكونَ المعنى ليس لنا أمراء ثلاثة ولكن لنا أَمِيرَانِ اثْنانِ . وإذا كان كذلكَ كان تقديرُكَ وتقديرُهم جميعاً خطأً . قيلَ : إنَّ هاهنا أمراً قد أغفلتَه وهو أنَّ قولهم آلهتنا : يوجبُ ثبوتَ آلهةٍ جلَّ إِني تعالى عمَّا يقولُ الظالمونَ علواً كبيراً .

وقولنا : ليس لنا آلهةٌ لا يوجبُ ثبوتَ اثنينِ البتةَ . فإنَّ قلتَ : إنَّ كانَ لا يوجبُه فإنه لا ينفيه . فقيلَ : ينفيه ما بعدهُ من قوله تعالى : (إنَّما إِني وإِني واحدٌ) . فإنَّ قيلَ : فإنَّ زعمه كما ينفى الإلهين كذلك ينفى الآلهة . وإِذا كان كذلكَ وجبَ أن يكونَ تقديرُهم صحيحاً كتقديرِكَ . قيلَ : هو كما قلتَ : ينفى الآلهةَ . ولكنَّهم إذا زعموا أنَّ التقديرَ " ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة " وكان ذلك - والعبادُ با - من الشرِّركِ يقتضي إثباتَ آلهة كانوا قد دفعوا هذا النفيَ وخالفوه وأخرجوه إلى المُنَاقضة . فإنَّ إذا كان كذلكَ كان مُحالاً أنَّ يكونَ للصحةِ سبيلٌ إلى ما قالوه وليس كذلكَ الحالُ فيما قدَّـرناه لأزسَّ لم نقدرُ شيئاً يقتضي إثباتَ إلهين - تعالى إِني - حتى يكونَ حالنا حالَ من يدفعُ ما يوجبُه هذا الكلامُ من نفيهما . يبيِّنُ لك ذلكَ أنه يصحُّ لنا